Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حديث معاذة العنبرية

الجاحظ *

حَدَّثَ شيخ فقال : لم أرَ في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية . قالوا : وما شأن معاذة هذه ؟ قال : أهدى اليها العام ابنُ عمٍّ لها اضحية . فرأيتها كئيبة حزينة مفكرة مطرقة ، فقلت لها : مالك يا معاذة ؟ قالت : أنا امرأة أرملة وليس لي قَيِّم ، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي . وقد ذهب الذين كانوا يدبّرونه ويقومون بحقه . وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة ، ولستُ أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها . ولقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه . ولكنّ المرءَ يعجز لا محالة . ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنّه يجر تضييع الكثير .

أما القرن فالوَجه فيه معروف ، وهو أن يُجعل منه كالخطاف ، ويُسَمر في جذع من أجذاع السقف ، فَيُعلق عليه الزبل والكيران ، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان والحيات وغير ذلك . وأما المصران فإنه لأوتار المندفة ، وَبِنا الى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام فسبيله أنْ يكْسَر بعد أنْ يعرق ، ثم يطبخ ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللأدام وللعصيدة ولغير ذلك ، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ، فلم يَرَ الناس وقودا قط أصْفى ولا أحسن لهبا منه . وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر ، لقلة ما يخالطها من الدخان . وأما الاهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تُعد. وأمّا الفرث والبعر فحطب إذا جفف عجيب .

ثم قالت : بقي الآن علينا الإنتفاعُ بالدم . وقد علمت أنّ الله – عَزَّ وجَلَّ – لم يُحَرِّم من الدم المسفوح إلاّ أكله وشربه ، وإنّ له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها ، وإنْ أنا لم أقعْ على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به ، صار كيّةً في قلبي وقَذَىً في عيني ، وهَمّاً لا يزال يعودني .

قال : فلم ألْبَثْ أنْ رأيتها قد طلقَتْ وتبسمَتْ . فقلتُ : ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم . قالت : أجَلْ ذكرتُ أنَّ عندي قدورا شامية جددا . وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزْيَد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم . وقد استرحْتُ الآن ، إذْ وقع كل شيء موقعه .

قال : ثم لقيتها بعد ستة أشهر ، فقلت لها : كيف كان قديد تلك ؟ قالت بأبي أنْتَ ! لم يَجيءْ وقت القديد بعد . لنا في الشحم والالية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش . ولكل شيء ابان .

---

* الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، أبو عثمان . ولد في البصرة عام ٧٨٠ م . من أئمة الأدب واللغة ، ومن زعماء المعتزلة . أصيب بمرض الفالج في أواخر أيامه ، وانهارت فوقه مجلدات الكتب فقتلته عام ٨٦٩ م . من آثاره : (الحيوان) و (البيان والتبيين) و (سحر البيان) و (التاج) و (البخلاء) و (المحاسن والأضداد) و (النساء) و (الجواري) و (الفرق في اللغة) وغير ذلك الكثير .